تونس

حوليات الجامعة
التونسية
العدد رقم 13
1 يناير 1976

المقاييس الأسلوبية في النقد الأدبي
من خلال « البيان والتبيين » للجاحظ *

بقلم : عبد السلام المسدي

أسس تقييم جديد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يتبوأ الجاحظ في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية منزلة مزدوجة : هي منزلة تاريخية شهد له بها معاصروه ومن تبعهم من أعلام الفكر العربي الإسلامي ، ثم هي منزلة حضارية وثائقية إذ ما فتئت كتبه تمد الدارسين المعاصرين بمعين من الاستقراءات والتحليلات والاستنباطات قد يعسر علينا اليوم إدراجها ضمن مسالك الاختصاص في المعرفة البشرية حسب متصوراتنا الذهنية المعاصرة ، ففي مؤلفات الجاحظ مادة لمن يؤرخ للفرق الدينية (1) والمذاهب الفلسفية (2) والتيارات

(*) هذا البحث أنجز ضمن برامج قسم الدراسات الأدبية بمركز الدراسات والابحاث الاقتصادية والاجتماعية (C.E.R.E.S.)

(1) انظر على سبيل المثال : Henri Laoust : Les Schismes dans l'Islam Payot - Paris. 1965

(2) انظر Abdurrahman Badawi : Histoire de la Philosophie en Islam T. 1 « Les Philosophes Théologiens » Paris - Vrin. 1972

« الايديولوجيّة » (3) ، وفيها كذلك مادةٌ تخصّ الباحثَ في خصائص التفكير العربيّ منذ ازدهار حضارته العباسيّة (4) فَضْلاً عمّا في تلك المؤلفات من مادّة غزيرة لمؤرّخي الأدب والنقد وسائر العلوم اللسانية والجماليّة (5) ؛ ولعلّ هذه الغزارةَ مع التنوّع والشمول هي التي دفعت بعض الباحثين المحدّثين إلى اعتبار الجاحظ رائد مدرسة أطلقوا عليها اسم المدرسة الإنسانية مع ما في المصطلَح من أبعاد تعاطفية ذات مَنْزَعٍ أخلاقي (6) ولعلنا لا نُجازف إنْ نحن اعتبرنا أنّ الجاحظ خيرُ من مثّل في تاريخ الحضارة الإسلامية التيّار الشموليّ في دراسة الظواهر المتصلة بالإنسان ، وهو التيّار الذي استقرّتْ اليومَ أسُسُهُ فَغَدَا مزيجًا من التاريخ وعلم الاجتماع وعلم النفس وعلم الأجناس البشريّة وعُرِف في المدرسة الأمريكية بالانتروبولوجيا .

* * *

والمصادرُ التي تَرجَم فيها أصحابُها للجاحظ تكاد تُجْمِع على أنه تُوُفّيَ سنةَ 255هـ ولكنها مختلفة في تحديد سنة ميلاده إلاّ أنها تتّفقُ على حَصْرِها في العَقْدِ السادسِ من القرن الثاني بين سَنَتَيْ 150هـ و159هـ (7) . فالجاحظ قد عاش إذن في النصف الثاني من القرنِ الهجريّ الثاني والنصف الأوّل من القرن الثالث وهي فترة وَاكَبَتْ نموَّ الدّولة العباسية

(3) انظر Abdallah Laroui : L'Idéologie Arabe Contemporaine Maspéro. 1967

(4) انظر : عمر فروخ : تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون – دار العلم للملايين – بيروت ، 1966 وكذلك : Mohammed Arkoun : Essais sur la Pensée Islamique Paris - Maisonneuve. 1973

(5) انظر في هذا الصدد قائمة مراجعنا في هذا البحث .

(6) هي نزعة المستشرق الفرنسي R. Blachère وقد اقتفى أثره فيها : Ch. Pellat

(7) انظر : ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، مطبوعات دار المأمون – مصر – (ج 16 ، ص 74)
الشريف المرتضي : أمالي المرتضي . ط1 . دار احياء الكتب العربية 1954 (ج 1 ص 194)
أبو البركات الأنباري : نزهة الألباء في طبقات الأدباء . تحقيق عطية عامر . ط2 ستوكهولم 1962 (ص 118–120) .
الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد – دار الكتاب العربي – بيروت . (ج 12 ص 212–220)

فاكتمالَها فازدهارَها حين أصبحتْ الحاضرة الإسلامية مَعِينًا خِصبًا لِتَمَثُّلِ التيّاراتِ الفكرية الأجنبيّة على اختلافها وتبايُنِها (8) .

* * *

ولئن كان كتابُ « الحيوان » (9) خير ما يُمثِّل المُصنَّفاتِ العلميّةَ لدى الجاحظ فإن كتابَ « البيان والتّبيين » (10) يُجسِّم قطبَ التأليف الأدبيّ ؛ بل بِهِ أوّلاً ، وببعض الكتب الأخرى ثانيا عُرِفَ الجاحظُ الأديب ويبدو من المسلَّم به أنّ الجاحظ ألف كتاب « البيان والتبيين » في أخريات حياته ، إلاّ أنّ الدّارسين ولا سيما المحققين منهم يتساءلون بشيء من الحيرة عن نسبة هذا الكتاب زمنيّا إلى كتاب الحيوان (11) ، فالجاحظ يذكر في كتاب الحيوان (12) كيف أصيبَ بمرض الفالج -- وهو يؤلف كتابَه ذاك -- وكيف اشتدّ وَقْعُ الدّاء عليه حتى كادَ يحول دون إتمامه ، ثم إنّ بعض المصادر تذكر من جهة أخرى أنه أصيبَ بالفالج في اخر حياته (13) غير أننا نَرَى الجاحظَ مع ذلك كلّه يَذْكُرُ في « البيان والتبيين » كتابَ الحيوان في ثلاثة مواضِعَ متفرّقةٍ (14) . ومقابلةُ هذه المعطيات بعضِها إلى بعضٍ تستوقِفِ

(8) انظر Ch. Pellat : Le Milieu basrien et la Formation de Gahiz — Paris. 1953

(9) نشير في إحالاتنا إلى الطبعة الثانية ، تحقيق عبد السلام محمد هارون — القاهرة 1357هـ وهي في ثمانية أجزاء ، خصص الجزء الثامن منها وبعض السابع إلى فهارس الكتاب .

(10) اعتمدنا طبعة عبد السلام محمد هارون — الطبعة الثالثة — القاهرة 1968 وهي في أربعة أجزاء .

(11) انظر مقدمتي المحقق عبد السلام محمد هارون إلى كلا الكتابين ، على ان بعض الدارسين يتجاوزون الوقوف عند هذا المشكل مع جزم مسبق بتأخر البيان عن الحيوان وهو إقرار لا يخلو من مجازفة .
انظر : عبد العزيز عتيق : تاريخ البلاغة العربية — لبنان — 1970 ص 58 .

(12) (ج 4 . ص 208) .

(13) تاريخ بغداد (ج 12 ، ص 214) .
انظر أيضا : ابن العماد الحنبـــلي : شذرات الذهب ، القاهرة 1350هـ (ج 2 ، ص 122) .

(14) أ — في حديثه عن اقتلاع الثنايا : « وفي هذا كلام يقع في كتاب الحيوان » (البيان ج 1 ص 60)
ب — عند حديثه عن وصف الشعراء لزينة النساء : « ولبشار خاصة في هذا الباب ما ليس لأحد ولولا أنه في كتاب الرجل والمرأة ، وفي باب القول في الإنسان من كتاب الحيوان أليق وأزكى لذكرناه في هذا الموضع » (البيان ج 1 ، ص 225) .
ج — « كانت العادة في كتاب الحيوان أن أجعل في كل مصحف من مصاحفها عشر ورقات من مقطعات الأعراب ونوادر الأشعار (...) فأحببت ان يكون حظ هذا الكتاب في ذلك أوفر إن شاء الله » (البيان : ج 3 ، ص 302) .

الباحثَ قليلاً قبل الاستنتاج ، ولا شك أنّ حيرة المحققين تُعْزَى إلى أنهم يحاولون أنْ يفصلُوا فصلا زمنيًا واضحا بين فترات تأليف الجاحظ لكتبه منطلقين في ذلك من فَرَضِيَّة « ماقبليّة » بموجبِها لا يقبلون ازدواج مصنّفين في فترة زمنيّةٍ مّا : كليًّا أو جزئيًا ونحن نميل إلى القول بأنّ الجاحظ قد بدأ في تأليف الحيوان مبكرًا ثم إنّه شرع في تأليف « البيان والتبيين » ولَمّا يُتِمّ الكتابَ الاوّل فيكون الكتابان قد اشتركا في فترة زمنيّة هي تلك الفترة التي حلّ بالجاحظ فيها داءُ الفالج (15) .

فإذا سلّمنا بأنّ « البيان والتبيين » هو من اخر ما ألّف الجاحظ ادركنا مَا لَهُ من قيمة نوعيّة يتميّز بها عن سائر مؤلفاته ، فهو حَصَادُ عُمر طويلٍ انقضى في البحثِ والتصنيف وهو ثمرة تَمَثُّلٍ ثقافيّ طويل المدى وتجريد فكريّ بعيدِ الأغوارِ ، أمّا موضوع الكتاب فهو — كما تُمليه مبدئيًا عبارة « البيان والتبيين » — بحثٌ في خصائص التعبير البيّن ، أي في صناعة الكلام ، وما تمتاز به اللغة من طاقات الإبلاغ والإفصاح ، والكتاب قد أفْرَزَتْه ، إلى جانب النوازع الفنية الأدبيّة ، دوافع علمية مذهبيّة إذ يبدُو أنّ المتكلمين — والجاحظ أحَدُ أعلامِهم — قد كانوا أشدّ الناس عنايةً بخصائص الكلام البليغ لاعتمادهم على صياغة اللفظ وأفانين تصريفه في مناظراتهم ومُسَاجَلاَتهم (16) .

* * *

وللكتاب غَائِيَّةٌ لعلّها هي التي حرّكتْ الجاحظ إلى تأليفه وتَتَمَثَّلُ في الرّدّ على الشعوبيّة ردًّا صريحا وضمنيًا في أغلب الأحيان فقصد بذلك إلى إبراز الطابع الذي انفردتْ به حضارة العرب فتميّزوا به عن غيرهم من

(15) لعل النص الوارد في البيان والمذكور اعلاه (14 — ب) يدل على أن الجاحظ يتحدث في « البيان والتبيين » عما يعتزم ذكره في كتاب الحيوان أكثر مما يدل على أنه ذكره بعد .

(16) انظر : شوقي ضيف : البلاغة : تطور وتاريخ — دار المعارف — مصر ، ط2 ، 1965 ، ص 32—33 .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ذوي الحضارات الأخرى ولا سيما الفارسية منها ، وما هذه السِّمَةُ المميِّزة إلا « البلاغة والفصاحة » (17) .

ولا شك انّ انْبِنَاءَ كتاب «البيان والتبيين » على هذه النزعة الدّفاعية هو الذي بَوَّأهُ منزلةً مرموقةً لدى مؤرخي العلوم اللغوية والأدبيّة فاعتُبِرَ الجاحظ بذلك – وما زال – « مؤسس علم البلاغة العربيّة » على ما في ذلك من عفويّةٍ في الاستخلاص توهم بِضَرْبٍ من التّولّد التلقائيّ في نشأة العلوم (18) .

* * *

والناظر في مادة الكتاب يدرك أنها نسيج مزدوجٌ : هي مُنْتَقَيَات عربيّة إسلاميّة تتخلّلُها تعليقاتٌ واستطرادات شخصية . وهكذا ينطلق الجاحظ من نصوصٍ أدبيّةٍ ودينيّةٍ – شعريةً ونثريّةً – فَيُحَاوِل ان يَصُوغَ لنفسِه نظريةً في « البلاغة » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

ولئن كان حظُّ « البيان والتبيين » في إرساء قواعد علم البلاغة غير قليل فإنّ حظّه الأوفر إنما استَقَاهُ من كونه كتابَ أدَبٍ ولا يكاد أحدٌ من القدماء أو المحدثين – نصيرًا لأبي عثمان أو خصيمًا عليه – يشك في شرعيّة هذه المنزلة الجاحظية في بلورة مفهوم « الأدب » عند العرب حتّى أصْبَحَتْ شهادةُ ابن خلدون في ذلك رمزًا لحقيقةٍ عرفيّةٍ قارّة (19) فإذا ما تساءل الدّارس المعاصرُ عن مقوّمات هذه المنزلة « المطلقة » دون أن يشك سلفا في شرعيتها جزَم بأن كتاب « البيان والتبيين » إنّما حَدَّدَ مفهومَ الأدب بمنهجِه

(17) نستعمل هذه المصطلحات مبدئيا في معناها المتداول .
(18) انظر : شوقي ضيف ، البلاغة : تطور وتاريخ ، ص 57–58
عبد العزيز عتيق : تاريخ البلاغة العربية ، ص 51 .
(19) المقدمة ، ص 1700 .

قبلَ كل شيء حتّى أصبحَ نموذجَ العرب في منهجيّة التأليف الأدبي استطراداً وتحرّرًا من قيود وَحْدَةِ المَوَاضِيع ، والغاية القصوى في كل ذلك لاَ « الاخذ من كل شيء بطرف » بل تقديمُ شَتَاتِ الأطرافِ من كلّ الأشياءِ تقديمًا مزيجًا خليطا ممّا قد يتراءَى للقارىء المعاصر ضربًا من « الفوضى » ، فإذَا جُلُّ النقّاد قديما وحديثا يسلّمون بأنّ ذلك المسلكَ في التأليف هو أسٌّ من أسُسِ الأدبِ العربيّ .

والاستقراءُ الموضوعيّ لِحُكْمِ هؤلاء النّقّاد يُفْضِي إلى حقيقةٍ واحدةٍ هي أنّهُمْ — قدماء ومحدثين — يسلّمون بأنّ الجاحظ قد قَصَدَ إلى ذلك المسلكِ قصداً (20) وهذا التقدير — على وجه التحديد — هو الذي يتراءَى لنا نوعا من التفسير التوفيقي اللاحق للحدث ، فنحن — اذا تجاوزنا الأحكامَ الخارجيّةَ مِنْ لَدُنِ القدماء وغير القدماء — فإن النقد الباطني للكتاب يُفضي بنا إلى الجزم بعفويّة تلك الظاهرة ، بل لعلّه يسمح لنا بأن نَزْعُمَ انّ الجاحظ لو استطاع أن يصنّف كتابه تصنيفا أكثرَ إحْكامًا لَمَا تردّد في ذلك ، وإننا لا نكاد نشك أنه قد حُمِلَ على ذلك المسلَكِ وهو راغبٌ عنه !

إنّ أوّل ما يُطالعنا به كتاب « البيان والتبيين » هو أنّ لصاحبه إحساسًا واضحًا بضرورة إدراك منهجٍ محكَمٍ إحكامًا نهائيًّا ، فهو فضلاً عن تقسيم كتابه إلى أجزاءٍ مقصودَةِ الفواصلِ ثم إلى أبوابٍ صريحةِ الحدود يَضَع

(20) انظر : المسعودي : مروج الذهب (ج 4 ، ص 47)
ابن رشيق : العمـدة (ج 1 ، ص 227)
مصطفى الشكعة « مناهج التأليف عند العلماء العرب : قسم الأدب »
بيروت 1973 ، ص 173—174 .
عبد العزيز عتيق : تاريخ البلاغة العربية ص 53
ولم يشذ المستشرق Ch. Pellat عن هذه النظرية — انظر فصله في دائرة المعارف الاسلامية (اللسان الفرنسي) الطبعة الجديدة (المجلد : 2 ص 397) حيث يبرز ذلك بعبارة « الفوضى المقصودة » .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

لِجُلِّ الفصول عناوين فيها من التجريد والشمول ما يجعلها محرّكًا دلاليًا لكل المادّة في الفصل المُعَنْوَنِ (21) ، ثم انّ المؤلف على بيّنةٍ من دقائق الأبوابِ التي يعتزم طَرْقَهَا قبل انْ يَصِلَ إليها من قريب أو بعيد (22) ، على أنّ الجاحظ لا يبدو فقط واعيًا بتصنيف أبوابه (23) وانما هو واع بدوافع هذا التصنيف ممًّا يَبْرُزُ صريحا في بعض المواطن :

« وكان في الحق ان يكون هذا الباب في أوّل هذا الكتاب ولكنّا أخّرناه لبعض التدبير (24) » .

ويطفو هذا الوعي المنهجيّ على سَطح التأليف فَيَتَجَاوَزُ مادّة الكتاب الواحد ممّا كان الجاحظ بصدد تأليفه ليُصْبِحَ وَعْيَ المقارنةِ بمادة بعض كتبه الأخرى (25) .

* * *

تلك بعض أبعاد إدراك الجاحظ لضرورة انبناء كتابه على منهجيّة عقلانيّةٍ إلى حدّ بعيد وهو ما يثبت لناسعيه إلى إحكام التصنيف بما يرتضيه أوّلاً ، وبما يُمَكّنُه من تشريك القارىء في تَمَثُّلِه إلى حدّ الاقتناع ثانيا ، غير انّ لهذا الوعي حدودًا تجعله إلى الإدراك الغامض أقربَ منه إلى الإحكامِ التفصيليّ ، فذَاكَ الجاحظُ نفسه — وقد رأيناه يستنكف من ان يُوردِ في « البيان والتبيين » خَبَرًا ذكره في كتاب « الحيوان » مصرّحًا بانّ السبب في ذلك انما هو اجتنابُ التكرار — نراه في كل كتابه لا يكاد يُجَاوز بِضع

(21) انظر مثلا : « باب البيان » (ج 1 ص 75)
« باب من القول في المعاني الظاهرة باللفظ الموجز » (ج 1 ص 210) .
(22) انظر (ج 1 ص 52 ص 91 ص 95) [قارن ذلك بما في كتاب الحيوان — ج 5 ص 154—156 ج 6 ص 5، 6، 7 ثم ص 9] .
(23) كما في (ج 2 ص 30) .
(24) (ج 1 ص 76) .
(25) (ج 1 ص 225) .

الصفحات حتّى يُكَرِّرَ خَبَرًا أو حديثًا أو شعرًا وحتّى النوادر والمُلَح ممّا إذا تَكَرَّر فَقَدَ سِمَتَهُ المُمَيِّزة وغايتَه المنشودة ، وإذا رجعنا إلى بعض مواطن التكرار وفحصنا المسافاتِ الفاصلةَ بينها من حيث المجالُ الدّلاليُّ العامُّ للأثر كِدْنَا نَجْزِمُ أنّه تكرار « لا إراديٌّ » (26) .

ومن مظاهر حدود هذا الوعي المنهجيّ ما نلاحظه مِنْ تَبَاعُدِ مَا مِنْ حَقِّهِ التَّعَاقُبُ المباشرُ (27) مع ما يعترضُه القارىءُ مِنْ تَقَطُّعٍ في نَفَسِ التأليف عمومًا (28) لذلك نرى الجاحظ يستدرك من حين إلى آخر على نفسه فَيُحَاول ان يُرجع مسالك القول إلى الانتظام الذي كان يرتئيه ، وهذه الاستدراكات مطّردةٌ في الكتاب إلى حد التواتر (29) .

وهكذا نرى كيف ان الجاحظ قد كان في صراعٍ منهجي : يريد الإحكامَ فيُصيبه حينا ويُخْطِئُهُ أحيانا كثيرة فإذا هو يوردُ الباب الجديد ولا يُعنْونُه (30) وإذا هو يُحِسّ بِخَلَلِ تنظيم مادّتِه فيُوكِلُ امرَ إعادة تنسيقها إلى القارىء :

« وتُلحق هذه المعاني بأخواتها قبل »

---

(26) قارن بين ما ورد في (ج 1. ص 7) و(ج1. ص 221)
(ج 1. ص 73) و (ج 1. ص 165)
(ج3. ص 246) و (ج 4. ص 16)
وقد تتقارب مواطن التكرار تقاربا غريبا لا يفسره إلا كونه لا إراديا كما في :
(ج 1. ص 208 وص 210)
(ج 1. ص 36 وص 37)
(ج 4. ص 94 وص 96)

(27) انظر مثلا (ج 1 ص 113) حيث يورد الجاحظ رأيا للعتابي في البلاغة فلا يعلق عليه إلا في : ص 161 (من نفس الجزء) .

(28) كثيرا ما ينقطع نفس التأليف باستئناف عن طريق بسملة وافتتاح دعائي دون أن يكون في مضمون الكلام ، السابق منه واللاحق ، ما يستدعي ذلك ، والناشر كثيرا ما ينساق مع المؤلف فيجسم ذلك باستهلال صفحة جديدة انظر مثلا (ص 89 و161 من ج 1) .

(29) من ذلك الصفحات : 57، 91، 96، 132 من الجزء الأول وكذلك الصفحة 278 من الجزء الثاني ...

(30) (ج 1. ص 244) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

« يصير هذا الشعر وما أشبَهَه ممّا وقع في هذا الباب إلى الشعر الذي في أوّل الفصل »

« وهذه أبيات كتبناها في غير هذا المكان من هذا الكتاب ولكن هذا المكان أولى بها »

« (كلام) يضاف إلى باب الخطب وإلى القول في تلخيص المعاني » (31)

كلُّ ذلك مَرَدُّه كما أسلفنا إلى استعصاءِ منهجيّة التأليف على الجاحظ وهو لا يستنكف من الاقرار – في بعض المواطن – بقصوره عن إدراكِ حدّ من التجريد يُبَوّىء التأليف المنهجَ العقلاني الذي يرتضيه نظريًّا :

« كان التدبير في أسماء الخطباء وحالاتهم وأوصافهم أن نذكر أسماء
« أهل الجاهليّة على مراتبهم وأسماء أهل الإسلام على منازلهم ونجعلَ
« لكلّ قبيلةٍ منهم خطباءَ ونقسّم أمورهم بابًا بابًا على حدَتِه ونقدّم
« من قدّمه الله ورسوله عليه السلام في النسب ، وفضّلَه في الحسب
« ولكنّي لَمّا عجزتُ عن نظمه وتنضيده تكلّفتُ
« ذكرَهم في الجملة والله المستعان وبه التوفيق ولا حول ولا قوة إلاّ به » (32)

* * *

فإلى أيّ شيء تُعزى هذه الظاهرة في كتاب « البيان والتبيين » أوّلاً ، وفي أهمّ مؤلفات الجاحظ الأخرى ثانيا ؟ وما سببُ هذا التذبذب بين المنهجية العقلانيّة في التأليف والمسلك الاستطراديّ الذي يَنْقُضُ نفسَه بنفسه إنْ شِيءَ لَهُ أن يكون هو ذاتُه منهجًا ، حتّى وَلَوْ تَبَنّاهُ صَاحِبُهُ بضربٍ من التعليل الذي يتظاهر بنفي حتميّة الظاهرة مُسَبَّقًا (33) ؟

---

(31) (ج 1. ص 111) (ج 1. ص 217) (ج 4. ص 21) (ج 4. ص 58) .
(32) (ج 1. ص 306) .
(33) انظر : (ج 2. ص 222) (ج 3. ص 366–367) (ج 4. ص 5)
وقارن ذلك بما يتخلل كتاب الحيوان من تقديرات نظرية مماثلة :
(ج 1. ص 93–94)
(ج 3. ص 5، 6، 7. وص 38)
(ج 4. ص 208–209)
(ج 5. ص 148 وص 153) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

هل إنّ تفسير ذلك يكمُن في غزارة المادة المتجمعة وطغيانـها إلى حدّ تستعصي معه على الانتظام ، فإنْ صَحَّ ذلك أفَلاَ تَكونُ تلك الغزارة نفسُها قد سبَّبَهَا عَدَمُ تباور مفهوم الاختصاص عند العرب إذ يبدو انّ المقتضيات الظّرفيّةَ التي حفّتْ بنشأة العلوم عندهم قد حَتَّمَتْ ترابط مَشَاعب المعرفة ترابطا يتنافى ومفهومَ الاختصاص ؟ أم هلْ انّ تلك الظاهرة تُعْزَى إلى عدم تأصُّل سنن التأليف عند العرب إذ تميّزَتْ حضارتُهُم بكونها حضارةً لفظيةً دَأبَتْ على عبور قَنَوَات الخطاب الشفويّ حتى أصبحت تأبى الامتثال لمقتضيات التقيد المكتوب ممّا جعلهم يعتبرون تَذَكُّرَ المتكلم لمحور أوّل حديثه مقياسا من مقاييس براعة الخطيب (34) فيكون الجاحظ عندئذ مجسّما لفترة كان التراث العربيّ فيها يُرغَمُ شيئا فشيئا على عبور قنوات الكتابة والتسجيل وهو ما يفسّر دفاعَ الجاحظ طويلا على « الكتاب » كفكرة مجرّدَة تقابل مفهومَ المشافهة (35) ؛

لعلّ ذوي الاختصاص من مؤرخين لخصائص حضارة العرب ودارسين لمميّزات التفكير عندهم وباحثين في مُقَوّمات نشأة علومهم يجيبوننا يوما عن هذه التّساؤلات التي هي من مشمولات « فلسفة العلوم » .

والذي يهمنا في سياقنا هذا هو ما تبيّنّاه الان من انّ كتاب « البيان والتبيين » مادّةٌ خام سواء في نوعيّته أم في منهجه ، وعلى هذا الأساس سنتّخذُه فيما يلي من تحليلنا كُلاًّ لا يَتَجَزَّأ صارفين النظرَ مبدئيًّا عن أبعاد قيمته التاريخيّة أو الوثائقيّة .

* * *

(34) البيان والتبيين (ج 1. ص 339) .
(35) انظر الجزء الأول من كتاب الحيوان .

المفاهيم الأوّليّة ومصطلحاتها

لقد أصبحت « فلسفة-العلوم » اليومَ تلتزم في مناهج بحثها عموما الانطلاق من المتصوَّرات الذهنيّة وما تتبلور فيه من مصطلحات لغويّة نوعيّة فتضمن بذلك حدًّا أدنى من أسس التقْييم الموضوعي ، وقد انجرَّ عن ذلك أنّ العلوم الإنسانيّة امتثلت لتلك المقتضيات المبدئية فالتزمت في مناهجها قاعدة حصر متصوَّراتها الذهنيّة ومجالاتها الدّلاليّة والإيحائية في مصطلحات مستقلة الحقول تَكُونُ في صُلْبِ عمليّةِ الإفرازِ العلميّ بمثابةِ المرجعِ الأوّليّ والمُوَلِّدِ الدّائم في ضَرْبٍ من الجدليّة المُفْضِيةِ أساسًا إلى إخصابِ الخلقِ وتكثيفِه .

ولئن كان هذا الالتزام المنهجيّ عامًّا في كلّ أفنان العلومِ الإنسانية فهو في العلوم النقدية منها أوكد إذ كلُّ استقراء ألسنيّ يرضخ لمضايقات مبدئية قد لا تعترض سبيل علم-إنساني آخر ، وتلك المضايقات سَبَبُهَا أنّ العلوم اللسانيّة تتخذ اللغة أداةً وموضوعًا في نفس الوقت .

بهذا الالتزام إذن حَرص الألسنيّون في العصر الحديث على ضبط ثبتهم الاصطلاحي قبل عرض محصولاتهم العلميّة ممّا جعل خصوماتهم في كثيرٍ من الأحيان لا تخرج عن مدارِ تَدَاخُلِ المفاهيم وتَجَاذُبِ المصطلحات بعضِها بعضًا ، ولئن كان هذا الالتزام المنهجي قد أثْمَرَ التَّحَرِّيَ العلميَّ ووضوحَ مقاصدِ التأليف فإنه قد حَدَّ من طواعية المادّة النقدية عُموما إذا ما قُصِدَ إلى تقييم الإفراز « النقدي-الألسني » في العصر الحديث انطلاقًا من علاقة المفاهيم بالمصطلحات ، غير انّ التراث اللغويَّ-النَّقديَّ القديم — بما يتّسم به من تاريخيّة ما فتئت تتجدَّدُ بتجدّد الرُّؤى إليه — يُقَدِّمُ لنا خيرَ مجالٍ لمثل هذه الاستقراءات ، إذْ فَضْلاً عن أنّ مادّتَه النوعيّة هي نفسُها « خام » — شأنَ « البيان والتبيين » — فإنّ مادة « العلم اللغوي »

في مثل هذا الكتاب هي مادّة – كما أسلفنا – في مجملها « لاَ وَاعية » ، وبالتالي فإنّ مصطلحاتها – في حدّ ذاتها – تمثّل مادّةً ثريّة للباحث المعاصر .

فإذا انطلقنا – بادىء ذي بدء – من المصطلح الذي أبرزناه في محور بحثنا واستعملناه نعتًا وهو « الاسلوبية » وجدنا ان هذه المادّة اللغويّة « سَلَبَ » تستعمل في اللغة بالصيغة الفعلية أكثر من استعمالها بالصيغة الإسمية ، وتحوم استعمالاتها عموما حول معانٍ محسوسةٍ بِهَا ذُكرت في القرآن (1) إلاّ ان الصيغة الاسميّة « أسلوب » تمتزج فيها المعاني المحسوسةُ بالمعاني المجرَّدة .

يقول ابن منظور :

« ... يُقال للسطر من النخيل : أسلوب ، وكلّ طريق ممتدّ « فهو أسلوب ، قال والأسلوب : الطريق والوجه والمذهب ، يُقال « انتم في أسلوبِ سوءٍ ويجمع أساليب (...) والأسلوب : الفنّ ، « يقال أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين منه » (2)

غير أنّ هذه المادّة في صيغتها الإسميّة : « أسلوب » لم ترد في كتاب « البيان والتبيين » البتّة (3) ، إلاّ انّ مجموعةً اخرى من المصطلحات قد استعملت في الكتاب استعمالا تلقائيا يكاد يكون « خاما » وهي التي ستتبلور شيئا فشيئا مع تبلور علم البلاغة عموما ، ومن تلقائية استعمال الجاحظ لها سَنُحَاوِل تحسُّسَ دقائقها الفنية وهذه المجموعة من المصطلحات ذات

(1) انظر لسان العرب ، المجلد 1 ، مادة سلب .
وانظر أيضا في القرآن (السورة : 24 – الآية ، 73) .

(2) المجلد الأول ص 473 (ط. بيروت 1968) .

(3) لا شك أنه من المفيد البحث في تاريخ هذه المادة من خلال استقراء المعاجم العربية والكتب الأدبية السابقة لابن منظور لتحديد الفترة الزمنية التي استعملت فيها هذه المادة بمعناها المجرد : « أفانين القول » .

الطاقة المولّدة تستقطب لفظة « بلاغة » وتُلْحَق بها عبارة « إبلاغ » ثم لفظة فصاحة وتلحق بها عبارة « إفصاح » (4)

البلاغـة :

استُعملت هذه العبارة في كتاب « البيان والتبيين » 61 مرّة (5) وكان أحد استعمالاتها قد تفرّع في نفس السياق إلى معانٍ أربعةٍ عن طريق « عطف التمييز » (6) فيكون مجموع تواتر العبارة 64 .

وتتجاذبُ هذه العبارةَ محاورُ ستةٌ من المضامين المبدئية العامّة دون وقوف على الفوارق الجزئية وأوّلها أن تَرِدَ في استعمالٍ ألْسُنيّ صِرْف مفادُه مجرَّدُ الحدث اللغويّ الذي تجسّمه عملية الكلام اي ان عبارة « بلاغة » تقارب عندئذ المفهوم الألسنيّ الحديث المعبّر عنه بالْبَثّ .

وثاني تلك المحاور ذو استعمال « فيزيولوجي ـ فكريّ » يتمثل في الانسجام الزّمني بين استحضار الفكر للمفاهيمِ والمتصوَّرات وحضورِ الكلمات الرّامزة إليها في جهاز الأداء وهو اللسان ، وهو ما يُعرف بالطلاقة أو ما يمكن ان نعبّر عنه بالتماثل الانـيّ بين توارُدِ المدلولات والدّوالّ .

---

(4) نعزل عن هذه المجموعة لفظتي بيان وتبيين لأنهما مقصودتان لذاتهما انطلاقا من العنوان ، وهو ما يدل على أنهما قد تبلورتا لدى الجاحظ من حيث المفهوم الذهني مما ينفي عنهما تلقائية الاستعمال .

وفي هذا الصدد حاول بعض الدارسين تدقيق بعض هذه المصطلحات عند الجاحظ إلا أن صبغة العمل كانت ارتسامية تقريبية .

انظر : : عبد العزيز عتيق : تاريخ البلاغة العربية ص 61–64

محمد زغلول سلام : تاريخ النقد العربـي ص 19–23

انظر أيضا محاولة Von Grunebaum في فصلي بلاغة وفصاحة في دائرة المعارف الاسلامية .

(5) انظر الثبت المتعلق بهذه المصطلحات في آخر بحثنا .

(6) وذلك في (ج 1. ص 114) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وممّا يدور عليه مصطلح « البلاغة » محورٌ منطقيّ ــ ألسنيّ تكون فيه العبارة محمّلةً شحنةً عقلانيّة تتمحّضُ بها إلى معنى الإقناع عامّةً بواسطة الأداء اللغويّ .

ثم إنّ من استعمالات عبارة البلاغة ما يقترن بمجال استعمال الظاهرة اللغوية استعمالا شفويّا تأثيريّا يصطبغ بخصائصَ فنيّة ، وهو استعمال تزدوج فيه مقتضيات ارتجال التعبير معَ إحكامِ بنائه النوعيّ ممّا يجعل العبارة في حيّزِ دلالة « الخطابة » عامّة .

وامّا المحور الخامس لِدلالةِ عبارة البلاغة في سياق «البيان والتبيين» فهو محور فنّي تطبيقي يدور إجمالا حول تضمُّن الكلام لخصائصَ تمييزية يتحوّل بها من مجرّد إبلاغ رسالة ألسنية إلى مادةٍ من الخلق الفنيّ ــ نثرا كان أو شعرا ــ يُطْلِقُ عليها الجاحظ مفهوم « الصناعة » (7) ، وهو استعمال يتلاءم وما اختصّت به العبارة بعده عندما أرْسيَتْ قواعد البلاغة (8) كما أنه يمثّل حسَبَ المقاييس المعاصرة المجالَ الأسلوبيّ في استعمال الظاهرة اللغويّة .

إلا أنّ عبارة « البلاغة » في « البيان والتبيين » تستعمل في بعض مواطنه بمعانٍ أخرى تخرجُ كلُّها عن الدلالات المقترنة بالظاهرة اللغوية فتكتَسِبُ مضمونا يتجاوز المضمون الألسنيّ من ذلك أن تدلّ على السكوت أو قلةِ الكلامِ ، أو تدلّ على حسن الاستعداد لتلقي خطاب الاخرين أو كذلك حسن استغلال الوسائل غير اللغويّة في التفاهم كالإشارة وغيرها .

امّا مدى تواتر عبارة « بلاغة » حسب هذه المحاور المختلفة فيتحدّدُ كما يلي :

---

(7) البيان (ج 3 ص 14) .

(8) لعل أول من دقق مدلول عبارة البلاغة فنيا هو ابو الحسن الرماني (386هـ) . « النكت في إعجاز القرآن » ضمن « ثلاث رسائل في إعجاز القرآن » دار المعارف (ص 75–76) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

البـلاغــة

الترقيم	المحـاور المعنويـة: نوعيّة الدّلالة	مضمونها	غايتها	التواتر	النسبة المائوية
1	ألسنيّة-عامّة	عمليّة الكلام	« البـثّ »	8	12،3
2	فيزيولوجية-فكرية	صفة الطلاقة	انسجـام ركنـيْ الدّلالة	7	10،9
3	منطقية-ألسنية	المحاجّة	الإقنـاع	4	6،2
4	لغويّة-نفسانية	الخطابة	التأثير	9	14
5	أسلوبيـة	الخصائص المميزة	الخلق الفنـي	29	45،3
6	لا ألسنية Extra-linguistique	« علم العلامات » Sémiologie	تنويع الإدلاء	7	10،9
				64	100

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الإبـلاغ :

استعمل هذا المصدر في كتاب «البيان والتبيين» أربعَ مرات ودار استعماله على معنيين : أحدهما لغوي معجمـي لا يتجاوز مجرّد نقل الحديث أو الخبر (مرتان : 50 بالمائة) وثانيهما فني ألسني يفيد عملية إيصال الرسالة الألسنية إلى متقبلها مع ما يصحبها من مميّزات نوعيّةٍ تطبع بنيتَـها التعبيريّةَ بطابَع التركيب الفنّـي (مرتان : 50 بالمائة) .

الفصاحـة :

وردت هذه العبارة 15 مرّةً في معانٍ خمسةٍ متواترة كما يلي :

الترقيم	المحاور المعنوية			التواتر	النسبة المائوية
	نوعيّة الدّلالة	مضمونها	غايتها		
1	ألسنية-عامة	عملية الكلام	البثّ	3	20
2	فيزيولوجية-صوتية	عملية التصويت	سمْعيّة-جمالية	3	20
3	لغوية-نَفْسَانية	الخطابة	التأثير	2	13،3
4	منطقية ألسنية	المحاجّة	الإقناع	2	13،3
5	أسلوبية	الخصائص المميزة	الخلق الفني	5	33،3
				15	100

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الافصاح :

كلمةٌ تواترت 9 مرات في معانٍ متقاربةِ الحدودِ يمكن إدراجها في ثلاثة محاور رئيسية مع تجاوز بعض الدقائق الجزئية : المعنى الأوّل معجميّ صِرف يُفيد مجرّدَ عملية النطق أي أنّ المصدر إفصاح يتطابق عندئذ مع المعنى الأوّل لكلٍّ من: بلاغة – إبلاغ – فصاحة) (مرتان : 9 = 2، 22 بالمائة) والمعنى الثاني هو المعنى الاسلوبي المميّز للتعبير ويطابق المعنى الخامس للبلاغة والثانيَ للإبلاغ والخامسَ للفصاحة 2 : 9 = 2، 22 بالمائة)

وأمّا المعنى الثالث فهو معنًى تستقل به عبارة الإفصاح وهو فنّي دقيق يفيد التعويل على الطاقات الدّلالية في اللغة اكثر من التعويل على طاقاتها الإيحائية فتكون العبارة في هذا السياق مقابلةً لمفهوم الإضمار أو الكناية أو التضمين (9) .

* * *

(9) انظر : البيان ... (ج 1 ص 77–263/155/78) (ج 2 ص 7) .

إذا استنطقنا هذه المعطيات الإحصائية وقارنّا بينها استخلصنا أنّ كلمة « بلاغة » كانت على لسان الجاحظ – وربما مع منتصف القرن الثالث عموما – في مُنْتَصَفِ طريقها من التبلور : ذلك أنها – كما رأينا – متنوّعة الدّلالات إلاّ أنّ دلالتها الفنيّة ، كمصطلح لعلم لغوي قائم الذات سيتحدّد بعد الجاحظ ، قد استقطب 45،3 بالمائة من نسبة التواتر العام .

فإن نحن قارنّا بين هذه العبارة وعبارة « الفصاحة » من حيث مجالُهما الدّلاليُّ وجدناهما تشتركان في المحاور التالية :

المحور الألسني – العام
المحور اللغوي – النفساني
المحور المنطقي – الألسني
المحور الأسلوبيّ

وذلك بنِسَبٍ متقاربة جدًّا إذ تُمثِّل هذه المحاور الاربعةُ في استعمالات عبارة البلاغة نسبةَ 77،8 بالمائة من استعمالها العام، كما انها تُمثِّل في استعمالات عبارة الفصاحة نسبة 79،9 بالمائة من استعمالها العام، وهذا ما يسمح لنا باستخلاص انّ اللفظتين مترادفتان ترادفًا يبلغ نسبة 78،8 بالمائة من مجالهما الدّلالي .

ثم إنّ نسبة ما تنفرد به لفظة بلاغة تبلغ 22،2 بالمائة من معانيها المختلفة ويتمثل ذلك في المعنى الفيزيولوجي–الفكري ثم في المعنى « اللا ألسنيّ » ، أما ما تنفرد به لفظة « فصاحة » فهو المعنى الفيزيولوجي–الصوتي ويبلغ نسبة 20 بالمائة من معانيها المختلفة .

فإذا رمزنا إلى البلاغة بدائرةٍ « س » وإلى الفصاحة بدائرةٍ « ص » تقاطعت الدّائرتان في مجال نسميه « ع » ثم تستقل البلاغة بمجال نسميه « أ » والفصاحةُ بمجال نسميه « ب » بحيث يكون :

س = ع + أ

ص = ع + ب

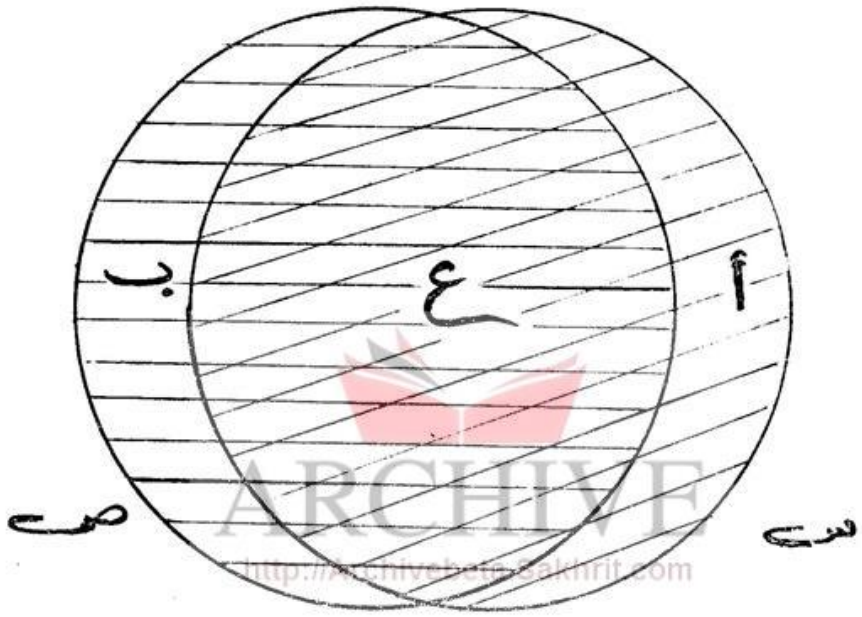

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عنـدئـذ نتبيّـــن أنّ :

ع = { المعنـى ـ الألسنـيّ العـــام
المعنـى النفساني ـ اللغــوي
المعنى المنطقــي ـ الألسني
المعنـى الأسـاـوبــيّ } = 78،8 بالمائة من (س/ص)

أ = { المعنى الفيزيولوجي الفكري
المعنـى « اللا ألسنـي » } = 22،2 بالمائة من « س »

ب = المعنـى الفيزيولوجـي ـ الصوتي = 20 بالمائة من « ص »

* * *

نوعيّة المقاييس في نقد الأسلوب

لم تَعرف العلوم الانسانية تغيُّرًا مُطَّرِدًا إلى حدّ عَدَمِ الاستقرار وَلَوْ مدّةً زمنيّةً مّا مثلما عرف النقد الأدبي ، والسببُ الجوهريُّ في ذلك أنّه قد كان دوما نقطةَ تقاطعِ التيارات الفكرية المختلفة ، ولا نكاد نعثر في تاريخ الإنسانية الحديثِ على تيّار فكريّ-فلسفيّ إلاّ وجدناه أفْرَزَ تيّارا نقديّا أرْضَخَ الأدبَ في مفهومه وتقييمِ إنتاجه إلى منهجيّته ، إلاّ أنّ كلّ ما عرفه الأدب من تيّارات نقدية يشترك في خاصّيّة أساسيّة هي أنّها منهجيّات تعتمد مقدّمات مبدئيةً تَكُون بمثابة المقاييس المَاقَبْلِيّة ، وهذه الظاهرة المشتركة هي التي طبَعت النقد الأدبي عموما بِصِبْغَةِ النِّسبيّة سواءٌ في التحليل أم في التقييم .

غير أنّنا نشهد اليوم ظاهرةً حديثة ما انفكّتْ تَنْحُو بالنقد الأدبي مَنْحًى مُغَايِرا في مقاييسه ومناهجه لما عرفه في تاريخه الطويل ، وتتمثل هذه الظاهرة في محاولة حمل النقد الأدبي على تبنّي جملةٍ من المعايير الموضوعيّة يتخلّص بِمُمَارَسَتِها من كلّ الأحكام النسبيّة – اخلاقيّةً كانت أم ارْتِسَامِيّة أمْ مَاورائية ... – فيدرك عندئذ منزلةَ المناهج العلميّةِ . أمّا المَعِين الذي تُسْتَقَى منه هذه المقاييس فهو علم اللغة الحديث بما تَمَخَّضَ عنه من تَشْرِيحٍ موضوعي للظّاهرة اللغويّة أوّلا ، وبما أفْرَزَهُ في منهجية حديثةٍ في التحليل والاستخلاص عُرِفَتْ بالهيكليّة ، ثانيا .

فالظاهرة التي نشهد اليوم نُمُوَّهَا – إنْ لم نقل مَوْلِدَها التّدريجيّ – هي حصيلةُ امْتِزاج تكامُليّ ، بل هي حصيلة تفاعل عضويّ بين مستخلصات الألسنيّة من جهةٍ واستقراءات النقد الأدبي من جهة أخرى ، وهكذا أصبحت «الأسلوبيّة» جِسْرًا بين علوم اللسان وثمرات الخلق الفنّي لذلك عُرِّفَتْ مبدئيا بكونها علمًا ألسنيّا يُعْنَى بالبحث عن الأسس الموضوعيّة لإرساء

قوَاعد دراسة الأسلوب (1) كما عُرّفت عمليّا بأنها علم يُعْنَى بدراسة الخصائص اللغوية التي تنتقل بالكلام من مجرّد وسيلة إبلاغ عاديّ إلى أداة تأثير فنّـي (2) ثم عُرّفت منهجيّا بأنّها بحث يُمَكّن القارىء من إدراك انتظام خصائص الأسلوب الفنّـي إدراكا نقديّا مع الوعي بما تحقّقه تلك الخصائص من غايات وظائفيّة (3) وأوّل ما تتصدّى له الأسلوبية الحديثة – بعد عمليّة الاستبطان التي تُحاول فيها ان تُعرّف نفسَها لِتَتَمَيَّزَ حدود مجالِـها عن حقول العمل الألسني الصرف أوّلاً ، وعمليّة الخلق الأدبيّ ثانيـا – إنما يَتَمَثَّلُ في محاولـة تحديـد الأسلـوب في حـدّ ذاتـه تحديداً موضوعيّا . ولَمّا تبيّنّا انّ « الأسلوب » – في مفهومه ومتصوّراته دون لفظه الاصطلاحيّ – هو من المكوّنات « الخام » للمادّة اللغويّة في « البيـان والتبيين » ، ولَمّا حاولنا حصر المفاهيم الأدبيّة الأساسيّة – في القسم الأوّل من بحثنا – والمفاهيم اللغويّة النقديّة – في القسم الثاني منه – تَحَتَّمَ علينا لذلك كلّه أن نتحسّسَ بعضَ العناصر المبدئيـة لنظريّـة الجاحـظ في « الأسلوب » مضمونا دونَ المُصْطَلَحِ .

* * *

إنّ كلّ نظريّة في الأسلوب تنطلق أساسا من فَرَضِيَّةٍ منهجيّة قوامُها أن المدلولَ الواحد يُمْكِـنُ بثّه بواسطة دَوَالَّ مختلفة وهو ما يَؤُول إلى القول بتعدّدِ الأشكال التعبيريّة رغم وَحْدَانِـيَّةِ الصورة الذهنيّة ، وهذه الفرضيّة المبدئية هي التي تبوّىء مفهوم الأسلوب شرعيّةَ الوجود (4) . وينطلق الجاحظ من التسليم المبدئي بأن استعمال الظاهرة اللغوية يتفرّع إلى

(1) M. Riffaterre : Essais de Stylistique Structurale p. 12

(2) G. Mounin : Clefs pour la Linguistique p. 157-168

(3) M. Riffaterre : Essais de Stylistique Structurale p. 11

(4) P. Guiraud : Essais de Stylistique p.p. 65-66 et p. 82
Enrico, Arcaini, Principes de Linguistique Appliquée

مستويين اثنين : أحدهما استعمال عاديّ مألوف يخلو من كلّ سمة أسلوبيّة نوعيّة وهو المستوى الذي يَقْرِنُهُ بطبقةٍ معيّنة من المجتمع يسميّها « العامة » حينا و« الناس » حينا اخر (5) والثاني هو الاستعمال المطبوع بسمة فنيّة خاصّة ، وينصّ الجاحظ على أنّ هذا المستوى الثانيَ لتصريف الظاهرة اللغويّة يقتضي « السياسة والترتيب والرّياضة وإحكام الصيغة » (6) ممّا يجعل الكلام ذا طابع مُمَيَّزٍ ، ولئن اقتصرت وظيفة الاستعمال الأوّلِ على مجرّد « إفهام الحاجة » — أي مجرّد الإبلاغ أو ما يمكن ان نعبّرَ عنه بمستوى الصفر من الدّلالة التمييزيّة — فإنّ الاستعمالَ الثانيَ يُحَوّلُ تصريف الظاهرة اللغويّة من مجرّد « الإبانة » — على ما قد تحتوي أحيانا من « لُكنةٍ أو خطإٍ أو لحن أو إغلاق » — إلى مجرى «البيان الفصيح» (7) ممّا يَرْتَقِي به إلى النصوص « المتميّزة عند الرواة الخلّص » (8) .

على هذا الأساس يتضح لنا أوّل مقياس انْبَنَتْ عليه « نظريّة » الجاحظ في تحديد الأسلوب وهو مبدأ « اختيار اللفظ » ، وتُلِحُّ النظريّات الاسلوبية الحديثة على إبراز مبدإ الاختيار في كلّ عمليّةِ خلقٍ فني إذ هي تنفي عَفْوِيّة الحَدَث الأدبيّ اعتمادا على أن كلّ إفرازٍ ألسنيّ-فنيّ إنّما هو ضرب من الاختيار الواعي يَسْتَقِي به الباثُّ الوسائل التعبيريّة المُلاَئِمة لغرضه ممّا تمدّه به اللغة عموما (9) . والناظر في مادّة « البيان والتبيين » يَسْتَشِفُّ منطلقات الجاحظ في صَوْغِ مبادئه البلاغيّة العامّة ومن أبرز ذلك تأكيده على أن الخلق الفني إنّما هو « عَمَلٌ » أو قل « صناعة » فمعنى ذلك أنّه

(5) البيان (ج 1 ص 20) . يحاول الجاحظ تدقيق ما يعنيه بقوله « العامة » في ص 138 من نفس الجزء .
(6) (ج 1 ص 14) .
(7) (ج 1. ص 161–162) .
(8) (ج 4. ص 31) .
(9) Cressot : Le style et ses techniques p. 1
Wagner : La Grammaire française p. 64

يرضخ لنوعين من الأبعاد التقييمية : فكلّما ازداد صاحبُه بهِ وعيا كان أحْكَمَ ، وكلما طالت مدّة مخاضه كان أعمق ، وهذا هو الذي جعل « خيرُ الشعرِ الحوليُّ المحكك » (10) . أمّا أرجه هذا الاختيار كمبدإ أساسيّ في نقد الأسلوب فتتمثل قبل كلّ شيء في بنية الألفاظ في حدّ ذاتها ويَعْتَبِرُ الجاحظ أن على صاحب الرسالة الأدبيّة « التماسَ الألفاظ وتخيّرَها » (11) بما يجعل بنيتها الألسنيّة — الصوتيّةَ سهلةَ المخرج سليمةً من التكلّف (12) والشروط العامّة لهذه السلامة أن تخلو اللفظة من كلّ لُخْلُخَانية أو عنعنة أو كسكسة أو غمغمة أو طُمْطُمَانيّة (13) فتكون عندئذ رشيقةً عذبة واضحة في مخارج الكلام (14) وهو ما يفضي إلى مقياس الائتلاف الصوتي في بنية اللّفظ المُنْتَقَى .

ومن مقتضيات مبدإ الاختيار — فضلا عن البنية الداخلية للكلمة — أن يَحْصُلَ التطابق الآليّ بين البنية الخارجيّة للّفظ — وهي البنية الألسنية الصوتية — وبنيته الدّاخليّة — أي الألسنيّة الدّلاليّة — بحيث يكون اقترانُ الدّالّ بمدلوله اقترانا آنيًّا لا يُفضي إلى أيّ انزياح زَمَني أو قطيعة دلاليّة . ويُطْلِق الأسْلُوبيّون اليوم على هذه الظاهرة بالانتظام النوعيّ في صُلب أجزاءِ الأثر ممّا يطبَعُه بالائتلاف بين هياكل الدّوال وهياكل المدلولات (15) . وللجاحظ في ذلك تصويرٌ طريف يُجَسِّمُ مفهومًا حركيًّا يتمثل في « التّسَارُعِ » بين البنيتين :

---

(10) انظر : ج 1 ص 204
ج 1 ص 137
ج 1 ص 319
ج 2 ص 111 .
(11) (ج 2 ص 8)
(12) (ج 1 ص 111)
(13) (ج 3 ص 212—213)
(14) (ج 1 ص 136) (ج 1 ص 111)
(15) انظر J. Starobinski : La Relation Critique p. 53
P. Guiraud : Essais de Stylistique p. 23

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

« لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك (16) » .

أمّا المقاييس العملية التي تجسّم هذا المبدأ العامّ فتنحصر في شروط ثلاثة : أوّلها ألاّ يكون اللفظ من جدول مَعْجَمِيّ شاذّ أو غريب بحيث تحصل لدى متقبِّل الرسالة الأدبيّة قطيعةٌ بين الدالّ ومدلوله (17) وهذا الشرط يضمن مبدأ تَصْرِيف الرصيد اللغوي المشترك بين الباثّ والمتقبّل بمقتضى قانون الاستعمال ، ومن تلك الشروط ألا يكون في اللفظ قُصُورٌ مّا عن أداء المعنى المراد حتّى لاَ يقع اختيار دالّ لا يستوعب كلّ المجال الدلالي المقصود في السياق (18) . أمّا ثالث الشروط فيتمثل في الصورة المقابلة للشرط السابق وهي ألاّ يكون اللفظ متجاوزا لحدود المعنى المقصود بحيث يكون للدّال طاقة دلاليّة تستوعب أكثر من المدلول المتلائم مع السياق فيحصل عندئذ خَرْقٌ للقانون الوظيفي للغة وهو « الإبلاغ والإفهام » إذ يَدْخُلُ صاحبُ الرسالة الأدبيّة بأداة التعبير حيزًا من الالتباس يُسَمِّيه الجاحظ بالشِّرْكَة والمشترك حينا وبالمُضمّن والمؤوّل حينا آخر (19) .

* * *

تلك إذن أهمّ مقوّمات اختيار اللفظ كَرُكْنٍ أوّلَ من أركان نظرية الجاحظ في الأسلوب إلاّ أنّ هذا الركن الصّريح يستند إلى ركن ثان مَبْثوث في كتاب « البيان والتبيين » وهو بمثابة السَّدَى الذي يتخلل لحمة النسيج العامّ ، ويتمثل في اختيار نظم تلك المادّة اللغويّة المتجمّعة على نسق تَتَكامَل فيه الخصائص النوعية للألفاظ مع المميّزات العامّة لبنية الكلام بحيث تُصبح

(16) (ج 1. ص 115)
(17) (ج 1. ص 136/ص 144/378–380)
(18) (ج 1 ص 92–93)
(19) (ج 1. ص : 92، 93، 106)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الرسالة اللغوية مطبوعةً أساوبيًّا من وجهتين : وجهة الألفاظ كأجزاء فردية في عملية الخلق الأدبي ، ووجهة تركيب تلك الأجزاء في صلب البِنْيَة الألسنية العامّة للنصّ ، وعلى هذا الأساس تزدوج الخصائص النوعية للأسلوب فتكون السِّمَةُ الأساسيّة المميّزة له هي مطابَقَةَ جدول الاختيار لجَدْوَل التوزيع في عمليّة البثّ الفنّي ، وهذه الظاهرة هي التي يُلِحُّ عليها كلّ الأسلوبيّين المعاصرين ممّا يجعلهم يُعَرّفُونَ الأسلوب بأنه الانتظام الداخلي لأجزاء النص في صُلب علاقات متآلفة تُحدّدها نوعيّة بِنْيَته الألسنيّة وهو التعريف المفضي إلى إعتبار الأسلوبَ المَحَلَّ الهندسيَّ لنُقَط تَقَاطُعِ محورين اثنين : أحدهما عموديٌّ وهو محور الاختيار وثانيهما أفقيّ وهو محور التوزيع (20) .

لقضية النظم هذه أثرٌ واضح في تحديد مفهوم الجاحظ للأسلوب رغم ما يتبادر من تعلّقه الظاهري بشكل الألفاظ وتفضيله مقاييسَ انتقائها على كلّ المقاييس الأخرى ولَمْ يَعْتَنِ الدارسون لنظرية الجاحظ في البلاغة بشيء عنايتهم بثنائية اللفظ والمعنى عنده (21) .

وأوّل ما تتجلّى فيه هذه النظرية في « البيان والتبيين » هو الاستطرادات المختلفة التي يحاول بها الجاحظ الإلمامَ بمعطيات مبدإ تَوَافُقِ الجدولين من الناحية المبدئية قبل كلّ شيء ، فيعرضُ علينا سلسلةً من الأحكام النقديّة تُبَوّىءُ العمل الفنّي المقصودَ لذاته منزلةً تميّزه عن الإفراز الانيّ والخلق المرتَجَل ، وبذلك يكون « الأسلوب » وليدَ مخاضٍ فنّي طويل خاصيّتُه الأساسية أنّه عمل واعٍ قَبْلَ كل شيء إذ هو بمثابة صَهْرِ المادّة اللغويّة في بوتقة التكرير الفنّي :

(20) انظر : أحمد الشايب : الأسلوب ، ص 44
N. Ruwet, Langage - Musique - Poésie p. 154
R. Jakobson : Essais de Linguistique Générale

(21) انظر : عبد العزيز عتيق : تاريخ البلاغة العربية ، ص 76 ، ص 83
محمد زغلول سلام : تاريخ النقد العربي ، ص 67
احسان عباس : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص 423–425 .

« وكانوا مع ذلك إذا احتاجوا إلى الرأي في معاظم التدبير ومهمّات الأمور مَيَّثوه في صدورهم وَقَيَّدُوه على أنفسهم فإذا قَوَّمَهُ الثِّقافُ وأدْخلَ الكيرَ وَقَامَ على الخلاص أبرزوه مُحَكَّكًا مُنَقَّحًا ومُصَفًّى من الأدناس مُهَذَّبًا (22) » .

فإذا كان هذا التصويرُ يُمَثِّل الاتجاه العموديَّ في عمليّة الخلق الأسلوبي اعتمادا على محاولة بلوغ درجةٍ مّا من التعمُّق تُكَثِّفُ نَوْعِيَّةَ مادَّته فإنّ هذا الاتجاه يتقاطع مع اتجاه أفُقِيّ يرمز إلى البُعْد الثاني في عمليّة التكرير وهو البُعْدُ الزمنيُّ :

« ومن شعراء العرب من كان يَدَعُ القصيدة تمكثُ عنده حولا كريتا وزمنا طويلا يُرددُ فيها نظرَه ويُجيلُ فيها عقلَه ويُقَلِّبُ فيها رَأيَه اتِّهاما لعقله وتتبُّعًا على نفسه فيجعل عقلَه زِماما على رأيه ورأيَه عِيَارًا على شعره إشْفَاقًا على أدبه وإحْرَازًا لما خَوَّلَه اللّهُ تعالى من نعمته وكانوا يسمّون تلك القصائد الحوليّات والمقلّدات والمُنَقَّحات والمُحْكَمَات ليصيرَ قائلُها فحْلاً خِنْذِيذًا وَشَاعِرًا مُفلقها (23) » .

بهذه المغالبة الفنية الدائمة يتحوّل المُبْدِعُ من خالقٍ للفنّ إلى عبدٍ له (24) .

ثُم يَدْخُلُ بنا الجاحظ مجالا اخر من التقييم النقدي يَشْحَنُهُ أحْكَامًا أسلوبيّةً تتّصل بخصائص البنية الألسنية مباشرة ، ومجموعة هذه الأحكام تُبَلْوِرُ المبدأ النظري العام المتمثل في ضرورة انسجام جَدْوَلِ الاختيار مع جدول التوزيع ، واستعراضُ نماذجَ من مصطلحاتِ هذه

(22) (ج 2. ص 14)
(23) (ج 2. ص 9)
(24) (ج 1. ص 206) (ج 2. ص 13) .

الأحكام يُبرز لنا إلحاحَ الجاحظ على ظاهرة البناء الأسلوبي في التركيب الألسني–الفنّيّ .

فانطلاقا من مبادىء عامّة تَتَلَخَّصُ في « التصرّف في الألفاظ » بُغيَة « سلاسة النظام » عبر « سهولة المعاطف (25) » يُدَقِّقُ الجاحظ معاييرَه العمليةَ المختلفة من :

تقسيم أقدار الكلام
واتفاقِ أجزائه
وقِرانِـها
وتلاحمها
ونظـم الكـلام
وتنضيده
وتأليفـه
وتنسيقـه
وسبكـــه
ونحتـــه (26)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكلّ هذه المقاييس الفرعيّة إنما تَهْدِف – كما أسلفنا – إلى صهر المادّة اللغوية المختارة على الجدول العموديّ في بوتقة التوزيع على الجدول الأفقـي ممّا يجعل الصياغة الألسنية كُـلاًّ لاَ يتجزّأ : « متلاحِـمَ الأجزاء

(25) (ج 1. ص 103)
(ج 2. ص 8)
(ج 1. ص 67)
(26) (ج 1. ص 139)
(ج 1. ص 67)
(ج 1. ص 205–206)
(ج 3. ص 29)
(ج 4. ص 30)

سهل المخارج فتَعْلَمُ بذلك أنّه قد أفْرِغَ إفراغا واحدا وسُبِكَ سبكا واحدا فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان (27) » .

ولئن ظلت تقديراتُ الجاحظ في صياغة نظريته الأسلوبيّة العامّة مُصْطَبغةً في مجملها بالطابع النظري فإنّ « البيان والتبيين » لا يخلو من نَفَثَاتٍ إن لم تكن تطبيقيةً بالمعنى الدقيق فهي على الأقل تكشف بعض المحاولات العمليّة التي تمدّ الدّارس بمقاييسَ أكثرَ إحكامًا وبالتالي أقربَ إلى الموضوعيّة ، ولعلّ المُنْطَلَقَ في سَبْرِ هذه المعايير يَكْمُنُ في تصنيف الجاحظ لِصُوَرِ توزيع المادّة اللغويّة على سلسلة الكلام وهو يُقيمُهَا حَسَبَ السّلّم التالي (28)

أمّا دَاخِلَ هذا السُّلَّمِ فإنّ الجاحظ يكاد يجعل من الشعر رمزًا للخلق الأسلوبيّ الأوْفَى (29) لذلك نراه يخص نقد الأسلوب النثريّ ببعض المقاييس المستقاةِ من خصائص الإفراز الشعري كَأَنْ يكونَ الكلام قائمًا « على الشمائل المَوْزُونَة (30) » حتى يكتسب ميزة الإيقاع المقطعيّ ، وهذا ما يُعَلِّلُ الوَصِيَّةَ الفنية المبدئية : « إنِ اسْتَطَعْتُمْ أن يكونَ كلامكم كلُّه مِثْلَ التوقيع فافعلوا (31) » .

(27) (ج 1. ص 67)
(28) (ج 3. ص 29)
(ج 4. ص 28–29) .
(29) (ج 1. ص 287)
(30) (ج 1. ص 89)
(31) (ج 1. ص 115)

فإذا خرجنا من السياق الداخلي لسلّم التصنيف وجدنا الجاحظ يعود إلى بعض أسس النقد الأسلوبي بما يستوعب كلّ عمليات الإبداع الفني ، وَأبْرَزُ مَا يُقَدّمُه في هذا السياق مبدأ إحكامِ أجزاءِ الكلام في مستوى الجمل أو العبارات ، فيصوّر لنا عمليّة البثّ الفنّي كصناعة سينماتوغرافية أهَمُّ مَا تَقْتَضِيه إنما هو إحكام الصلة بين اللوحات المختلفة وهذا الاحكام ذو مفهومين متقابلين : يَتَجَسَّمُ حينا في مبدإ « الوصل » و« الرتق » ويتشكل طورا في مبدإ « الفصل » و« الفتق » (32) .

وإلى جانب هذا المقياس النقدي يشير الجاحظ إلى ظاهرة أسلوبيّة ثانية هي من مُقْتَضَيَاتِ التكامل الفَنّيّ في صلب الصياغة التعبيرية وتختص هذه الظاهرة بعلاقة الكلمات بَعْضِها بِبَعْضٍ ممّا يُمْكِنُ أن نُعَبِّرَ عنه بقانونِ تَعَادُلِ الألفاظ اقْتِبَاسًا من عبارة للجاحظ في هذا السياق بالذّات (33) ومدارُ هذا القانون الأسلوبيّ أنْ تُوَزَّعَ الألفاظ على جدولِ سلسلة الكلام بما يَضْمَنُ حدًّا أدنى من التلاؤم والائتلاف فينصهر البناء الألسنيّ انصهارا يخلو من كل تنافر أو نَشَازٍ (34) ، عندئذ يُصبح نصُّ الرسالة الأدبيّة كلاًّ بُنْيَوِيًّا قائما على ظواهرَ مترابطةِ العناصرِ ، مَاهِيةُ كلّ عنصر أسلوبي منه وَقْفٌ على بَقِيّةِ العناصر بحيث لا تَتَحَدَّدُ مميزاتُ أحدها إلاّ في علاقته بالعناصر الأخرى ، كما أنّ اختلال جزء من أجزاء البنية العامّة يَجُرُّ حَتْمًا اختلالَ التوازن العامّ للرسالة الأدبيّة :

« .... فإن كانت المنزلة الأولى لا تواتيك ولا تعتريك ولا تسمح لك عند أوّل نظرك وفي أوّل تكلُّفِكَ وتجد اللفظةَ لم تقع موقعها ولم تَصِرْ إلى قَرَارِهَا وإلى حَقِّهَا من أماكنها المقسومة لها ، والقافيةَ لم تحلّ

(32) (ج 1. ص 88)
(ج 4. ص 94)
(33) (ج 1. ص 89)
(34) (ج 1. ص 65–67)

في مركزها وفي نصابها ولم تَتَّصِلْ بشكلها وكانت قَلِقَةً في مكانها نافرةً من موضعها فَلاَ تُكْرِهْهَا على اغتصابِ الأماكن والنُّزُولِ في غير أوطانها (35) » .

* * *

قد تَبَيَّنَّا إلى حدّ الان وجهين مختلفين لنظرية الجاحظ في « الأسلوب » ولكنهما وجهان يستَنِدَان إلى مِقْياسَيْنِ متكاملين : مقياسِ انتقاءِ الرَّصيد اللفظيّ من القاموس العام لِلُّغَةِ ، ومقياسِ توزيعه وتنسيقه على سلسلة الكلام ، غير أنّ هذين المبدأين ما أن يتفاعلا عضويا في عمليّة الخلق الأدبي حتّى يُوَلِّدَا مِعْيَارًا ثالثا يتصل مباشرة بالنظريات العامّة الأساسيّة في علم الدّلالات ، فإذا كان الجاحظ قد حاول تَقْنِينَ سُلَّمِ المقاييس العامّة في اختيار اللفظ ، وفي اختيار النظم ، فهل كان مُسَلِّمًا في كلّ ذلك بأنّ العلاقة بين مَجْمُوعِ الدوّال المُصَاغَة ابْتِدَاءً وما يَذْهَبُ المُتَقَبِّلُ بِهَا إليه من مدلولات هي علاقة حتْمية بموجب أنْمَاط لغويّة قارّة أمْ إنّه ذهب إلى مبدإ غزارة الدّلالاتِ انطلاقا من دَوَالَّ مُعَيَّنَةٍ محدودةٍ ؟

إن هذا التساؤل المبدئيَّ يرجعنا إلى البحث عن رأي الجاحظ في طاقات الظاهرة اللغوية من حيث الإبلاغ . ولئن اشتمل « البيان والتبيين » على إشارات عديدة تُبرز الطاقة الدلالية المباشرة في اللغة (36) ممّا يجعل وَظِيفَتَهَا الأساسيةَ متطابقة مع مبدإ الإفصاح والإبانة كما أسلفناه (37) فإنّه يَحْوِي استطرادات كثيرةً تُبرز كلها اعتبارَ الجاحظ أنَّ مِن مُميزاتِ لغةِ الخلقِ الفني – وبالتالي لغةِ الأسلوبِ الأدبي – أن تعتمد على الطاقات الإيحائية

(35) (ج 1. ص 137–138)
(36) (ج 1. ص 8 – ص 75 – ص 104 – ص 105 – ص 117)
(ج 2. ص 104)
(ج 4. ص 28)
(37) انظر أعلاه : المفاهيم الأولية ومصطلحاتها

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

في الظاهرة اللغوية أكثر من اقتصارها على طاقاتها التصريحيّة . ومعلومٌ أن أحدث الاتجاهات الأسلوبية تُركّز عِنايَتَها على تحليل مفهوم الأسلوب الأدبي بالرجوع إلى قدرة النص على استيعاب مجالات دلاليّة مختلفة بِفَضْل ما في لغته من طاقات إيحائية (38) وهذه الظاهرة يمكننا تَفْسيرُها حَسَب معطيات الإدراك الشمولي في نظرية المعرفة المسماة بالـ«قشتلت» إذ بها نَتَبَيَّنُ كيف إن الكُلَّ ليس فقط حصيلةَ الأجزاء وإنّما في الكلّ مَا في الأجزاء مُنْفَرِدةً وزيادَة ، وعندئذ نستطيع تقريبَ ذلك بأحدث النظريّات النحويّة المُسمّاة بالنحو الإنشائيّ والتي حاول فيها صاحبها شومسكي أن يتجاوز دراسةَ اللغة من خلال الجمل الثابتة فعْلاً إلى دراسة النواميس الباطنيّة المحرّكة لقدرة المتكلم على إنشاء عددٍ من الجُمل لا حدّ له ممّا قادَهُ إلى دراسة طبيعة اللغة وَحَرَكيّتها .

ومن المعلوم أيضا أنّ أحْدَثَ النظريات في علم الدّلالات قد اعتمدت مبدأ الطاقة الإيحائية في الظاهرة اللغوية لِتَدْحَضَ ما دَأَبَ عليه الألسُنيُّونَ من تعريفِ اللغة بكونها أداةَ إبلاغ ، ذلك أنّ أصحابَ هذه النظرية المستحدثة قد انتهوا إلى تَقْريرِ أنّ اللغة تُوحِي أكثر ممّا تُصَرّحُ وتُنَبِّهُ أكثر ممّا تُعبّر وتستفزُّ أكثر ممّا تُخْبِر (39) .

فإذا عدنا إلى الجاحظ وجدناه يُقِرُّ في أصْرَحِ عبارة بأن اللغة تقوم أساسا على غَزَارَةِ الدلالات ، وهي الظاهرة التي يتخذها إطارا للرّدّ على من اتخذ من اختلاف المسلمين في تأويل نص القرآن مطيةَ طعنٍ في الاسلام ، وينتهي الجاحظ إلى تحدّي هؤلاء الطاعنين أنْ يَدُلُّوهُ على لغةٍ تقوم فحسب على الطاقات التصريحية دون الطاقات الإيحائية المُفضية حتما إلى

(38) P. Guiraud : Essais de Stylistique p. 43/p. 60

(39) Oswald Ducrot : Dire et ne pas dire : Principes de Sémantique Linguistique : Collection Savoir - Hermann. Paris. 1972. pp. 5/p. 24

الاختلاف النسبي – بين المتقبّلين للرسالة اللغوية – طِبْقًا لاختلاف تقديراتهم للأبعاد الإيحائيّة (40) .

أمّا طريقة الجاحظ في استغلال هذه الطاقة الإيحائية لتفسير الخصائص الأسلوبية المُمَيِّزة فتبدو – بالرجوع دَوْمًا إلى صياغة مُتَصَوَّرَاتِهِ وانتقاءِ مصطلحاته – على مستويين : مستوًى وَصْفِيّ تحليليّ : يَبْرُزُ في مجموعاتٍ ثلاثٍ مقاييسُهَا كَمِّيَّةٌ فَنوعيّةٌ فتقييميّةٌ :

أ) « أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره (41) » .

« وربّ قليل يغني عن الكثير (...) بل ربّ كلمة تغني عن خطبة (...) بل ربّ كناية تربى على إفصاح (42) » .

« قلة عدد الحروف مع كثرة المعاني (43) »

« الكلام الذي قَلَّ عددُ حروفه وكثر عدد معانيه وَجَلَّ عن الصَّنْعة ونُزِّهَ عن التكلّف (44) » .

« وقد يكون القليل من اللفظ يأتي على الكثير من المعاني (45) » .

ب) « ... فَذَكَرَ (...) المحذوفَ في موضعه والموجز والكناية والوحي باللفظ ودلالة الإشارة (46) » .

« فعامّة ما يكون من هذه الأبواب (البلاغية) الوحي فيها والإشارة إلى المعنى (47) » .

---

(40) (ج 3. ص 376)
(41) (ج 1. ص 83)
(42) (ج 2. ص 7)
(43) (ج 2. ص 28)
(44) (ج 2. ص 16–17)
(45) (ج 4. ص 27)
(46) (ج 1. ص 44)
(47) (ج 1. ص 116)

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ج) « وَمـِـنَ البَـصَرِ بالحجة والمعرفة بمواضـِع الفرصة أن تَـدَعَ الإفصَاحَ بها إلى الكناية عنها (48) » .

« قال مـَـنْ هـذه التي تـُـرَدُّ إلى قليـلٍ فـَتـُقْنـِـعُ وليـس المـُضَمَّنُ كالمطلق (49) » .

« وإن قـَصَّرَ القولَ أتَى على غاية كلّ خطيب (50) » .

أمّا المستوى الثاني الذي تبرز فيه طريقة الجاحظ في استغلال هذه المقاييس فهو مستوى التـَجْرِيد وتـَحَسُّس الصيغة الاصطلاحية المطابقَة للظاهرة الأسلوبية العامّة ، ويتدرّج الجاحظ في ذلك من مفهوم الكناية (51) (المقابل للإفصاح) إلى مفهوم الاقتضاب (52) لينتهي إلى بلورة الظاهرة في صياغتها النهائية ألا وهي الإيجاز فيعرّفه بأنّه « حذف الفضول وتقريب البعيد (53) » . ثم يجعل منه جـَوْهـَرَ كل عمليّة إبداعٍ فني فيطابق بينه وبين البلاغة كفكرة مجرّدة (54) » .

ولعلّ أبا الحسن الرّمّاني (386هـ) هو الذي سيدقق مفهوم هذا المصطلح فيعرف الإيجاز بأنّه « تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى وإذا كان المعنى يُمْكـِـنُ أنْ يعبّر عنه بألفاظ كثيرة ويمكن أن يعبّر عنه بألفاظ قليلة فالألفـاظ القليلـة إيجــاز (55) » ولعلـه أيضا هو الـذي سيحـاول ان يُقَنِّنَ ازدواجيّةَ طاقة اللغة بين التصريح والإيحاء فيما سيسميه بالتضمين معرفا إيّاه بقوله : « تضمين الكلام هو حصول معنى فيه من غير ذكر له باسم أو صفة هي عبارة عنه (56) » .

---

(48) (ج 1. ص 88)
(49) (ج 1. ص 155)
(50) (ج 4. ص 33—34)
(51) (ج 1. ص 44)
(ج 1. ص 88)
(ج 2. ص 7)
(52) (ج 1. ص 88)
(ج 1. ص 331)
(53) (ج 1. ص 97)
(54) (ج 1. ص 116)
(55) النكت في إعجاز القرآن ص 76
(56) نفس المرجع ص 102 قارن ذلك بما يسميه :
Oswald Ducrot : « Phénomène de L'implicite et de Présupposition »
Dire et ne pas dire p. 5/p. 24

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثَبْتٌ عَامٌ لِتَوَاتُرِ بعض المصطلحات في « البيان والتبيين »

« البلاغــة »

ج 1 ص 5 « جمعتَ صنوفَ العِيّ من كلّ وجهةٍ
وكنتَ جديرًا بالبلاغة من كَثَبْ

ج 1 ص 8 « وذكر الله عزّ وجلّ لنبيّه عليه السلام حال قريش في بلاغة المنطق » .

ج 1 ص 8 « وذكر (الله) العَرَبَ وما فيها من الدّهاء والنكراء والمكر ومن بلاغة الألسنة واللَّدَدِ عند الخصومة » .

ج 1 ص 13 « ومدارُ اللاّئمة ومُسْتَقَرُّ المذَمّة حيثُ رأيْتَ بلاغةً يخالطها التكلف وبيانا يمازجه التزيّد » .

ج 1 ص 85 « وذكر محمّد بن علي بن عبد الله بن عبّاس بلاغةَ بعض أهله فقال : إنّي لأكرهُ أن يكونَ مِقْدارُ لسانه فاضلا على مقدار علمه كما أكره أن يكونَ مِقدار علمه فاضِلا على مقدار عقله » .

ج 1 ص 87 « يكفي من حظّ البلاغة ان لا يؤتَى السّامع من سوء إفهام النّاطِق ولا يؤتى النّاطِق من سوء فهم السّامِعِ » .

ج 1 ص 88 « قيل للفارسي : ما البلاغة ؟ قال : معرفة الفصل من الوصل » .

ج 1 ص 88 « قيل لليوناني : ما البلاغة ؟ قال : تصحيح الأقسام واختيار الكلام » .

ج 1 ص 88 « وقيل للرّومي : ما البلاغة ؟ قال : حسن الاقتضاب عند البداهة والغزارة يومَ الإطالة » .

ج 1 ص 88 « وقيل للهنديّ : ما البلاغة ؟ قال : وُضوحُ الدّلالة وانتهاز الفُرصة وحُسْن الإشارة » .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ج 1 ص 88 « وقال بعضُ أهل الهند : جِماعُ البلاغة البصر بالحُجّة والمعرفة بمواضع الفرصة » .

ج 1 ص 88 « ... جِماع البلاغة التماس حُسن الموقع والمعرفة بساعات القول وقلّة الخَرَق بما التَبَسَ من المعاني أو غَمُضَ وبما شَرَد عليك من اللفظ أو تعذّر » .

ج 1 ص 89 « قال سهل بن هارون : لو أنّ رَجُلَيْن خَطَبَا أو تحدّثا (...) وكان أحدُهما جميلا جليلا بهيّا (...) وكان الآخر قليلا قميئا (...) ثم كان كلامُهما في مقدار واحد من البلاغة وفي وزن واحد من الصواب لتصدّع عنهما الجَمْع وعامّتُهُمْ تَقْضي للقليل الدّميم على النّبيل الجسيم » .

ج 1 ص 90 « إذا كان الخليفةُ بليغا والسيّد خطيبا فإنّك تَجِدُ جُمهُور الناس وأكثر الخاصّة فيهما على أمرين إمّا رجلا يُعْطي كلامَهما من التعظيم والتفضيل والإكبار والتَّبْجيل على قدر حالهما في نفسه وموقِعهما من قَلْبه وإمّا رَجُلا تَعْرِضُ له التُّهْمَة لنفسه فيهما والخوفُ من أن يكونَ تعظيمه لهما يوهمه من صواب قولهما وبلاغة كلامهما ما ليس عندهما » .

ج 1 ص 91 « وكان سهلُ بن هارونَ شديدَ الإطناب في وصف المأمون بالبلاغة والجهارة » .

ج 1 ص 92 « ... ما البلاغة عند الهند ؟ قال بَهْلة : عندنا في ذلك صحيفة مكتوبة » .

ج 1 ص 92 « أوّل البلاغة اجتماع آلة البلاغة وذلك أن يكون الخطيبُ رابِط الجأش ، ساكِنَ الجوارِح قليل اللحْظِ مُتخيّر اللفظ » .

ج 1 ص 96 « وقال له معاوية : ما تعدُّون البلاغة فيكم ؟ قال : الإيجاز » .

ج 1 ص 96 « قال معاوية ابن أبي سفيان لصُحار بن عيّاش العبديّ ما هذه البلاغةُ التي فيكم ؟ قال : شيء تجيش به صدورُنا فتَقْذِفُه على ألسنتنا » .

ج 1 ص 97 « قلت لأعرابي منّا : ما البلاغة ؟ قال لي : الإيجاز في غير عجز والإطناب في غير خَطَل » .

ج 1 ص 113 « حدثني صديق لي قال : قلت للعتّابي : ما البلاغة ؟ قال : كلُّ مَنْ أفْهَمَكَ حاجته من غير إعادة ولا حُبْسَة ولا استعانة فهو بليغ » .

ج 1 ص 114 « قال عبد الكريم بن رَوْح الغفاري حدثني عمر الشَّمَّرِيُّ قال : قيل لعمرو بن عُبَيْد : ما البلاغة ؟ قال : ما بلغ بك الجنّة وعدَل بك عن النّار وما بصّرَك مواقع رُشْدك وعواقبَ غَيّك قال السائل : ليس هذا أريد قال : مَنْ لم يُحْسِنْ أن يَسْكُتَ لم يُحْسِنْ أن يَسْتَمِعَ ومن لم يحسن الاستماع لم يحسن القول : قال : ليس هذا أريد قال : قال النبيُّ صلّى الله عليه وسلم « إنّا مَعْشَرَ الأنبياء بِكَاءٌ » أي قليلو الكلام ومنه قيل رجلٌ بَكِيءٌ وكانوا يَكْرَهون أن يزيد مَنْطِق الرجل على عقله قال : قال السائل : لَيْسَ هَذَا أريد قال : كانوا يخافون من فتنة القول ومن سَقَطَات الكلام ما لا يخافون من فتنة السكوت وسَقَطَات الصمت قال السائل : ليس هذا أريد قال عمرٌو : فكأنّك إنّما تريدُ تَخَيُّرَ اللفظ في حُسْن الإفهام : قال : نعم » .

ج 1 ص 115 « وقال بعضُهم — وهو من أحسَن ما اجْتَبَيْنَاهُ ودَوَّنّاهُ — لا يكون الكلام يَسْتَحِقُّ اسم البلاغة حتّى يسابقَ معناه لفظه ولفظُه معناه فلا يكون لفظُه إلى سمعك أسبقَ من معناهُ إلى قلبك » .

ج 1 ص 115–116 «وقال إسحاق بن حسان بن قوهيّ: لم يُفَسِّرْ البلاغة تفسير ابن المقفّع أحدٌ قَطُّ ، سئل ما البلاغة ؟ قال البلاغة اسمٌ جامِعٌ لمعانٍ تجري في وجوه كثيرة فمنها ما يكون في السكوت ومنها ما يكون في الاستماع ومنها ما يكون في الإشارة ومنها ما يكون في الاحتجاج ومنها ما يكون جوابا ومنها ما يكون ابتداء ومنها ما يكون شعرا ومنها ما يكون سَجْعًا وخُطَبًا ومنها ما يكون رسائل فعامةُ ما يكون من هذه الأبواب الوَحْيُ فيها والإشارة إلى المعنى والإيجازُ هو البلاغة » .

ج 1 ص 136 « فإن أمْكَنَكَ أن تبلُغَ من بيان لسانك وبلاغة قلمك ولُطْف مداخلك واقتدارك على نفسك إلى أن تُفْهِمَ العامَّة معانِيَ الخاصّة وتَكْسُوَها الألفاظَ الواسطة التي لا تلطف عن الدّهماء ولا تجفُو عن الأكفاء فأنتَ البليغ التامّ » .

ج 1 ص 137 « قال أبو عثمان : أمّا أنا فلم أرَ قطُّ أمثلَ طريقةً في البلاغة من الكتّاب فإنهم قد التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعِّرًا وحشِيًّا ولا ساقِطًا سُوقِيًّا » .

ج 1 ص 161 «والعتّابي حين زعم أنّ كلّ من أفهمك حاجتَه فهو بليغٌ لم يعنِ أن كلّ من أفهمنا من معاشر المُوَلَّدِينَ والبَلَدِيِّينَ قصْده ومعناه بالكلام الملحون والمعدول عن جهته والمصروف عن حقِّه أنّه محكوم له بالبلاغة كيف كان بعد أن نكون قد فهمنا عنه » .

ج 1 ص 162 « فمن زعم أنّ البلاغةَ أن يكونَ السامع يفهم معنى القائل جعل الفصاحة واللُّكْنَة والخطأ والصواب والإغلاق والإبانة والملحون والمُغرب كلّه سواء وكلّه بيانا وكيف يكون ذلك كلُّه بيانا » .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ج 1 ص 191 « قال : وهم وإن كانوا يحبّون البيان والطّلاقة والتحبير والبلاغة والتخلّص والرّشاقة فإنهم كانوا يكرهون السّلاطة والهذر والتكلّف والإسْهَاب والإكثار » .

ج 1 ص 191 « وكانوا يكرهون الفُضُول في البلاغة لأنّ ذلك يدعو إلى السَّلاَطَة والسَّلاَطَة تدعُو إلى البَذَاءِ وكلّ مِرَاءٍ في الأرض فإنّما هو من نِتاجِ الفُضُولِ » .

ج 1 ص 197 « وكان سهلُ بنُ هارونَ يقول : « سياسة البلاغة أشَدُّ من البلاغة كما أنّ التَّوقّي على الدّواء أشَدُّ من الدّواء » .

ج 1 ص 200 « وإن كنتَ ذابيان وأحْسَسْتَ من نفسك بالنّفوذ في الخطابة والبلاغة وبقوّة المُنَّة يوم الحفل فلا تُقَصّرْ في التماس أعلاها سورة وأرفعِها في البيان منزِلة » .

ج 1 ص 208 « وكان عبدُ الحميد الأكبر وابنُ المقفّع مع بلاغة أقلامهما وألسنتهما لا يستطيعان من الشعر إلاّ ما لا يُذْكرُ مثله » .

ج 1 ص 220 « البلاغةُ إظهارُ مَا غَمُض من الحقّ وتصوير الباطل في صورة الحــقّ » .

ج 1 ص 243 « وكان سهل بن هارون يقول : « اللسان البليغ والشعرُ الجَيِّدُ لا يكادان يجتمعان في واحد وأعْسَرُ من ذلك أن تجتمِعَ بلاغَةُ الشعر وبلاغة القلم » .

ج 1 ص 269 « وقال المعترضُ على أصحاب الخطابة والبلاغة قال لقمانُ لابنه « أيْ بُنَيَّ إنّي قد نَدِمتُ على الكلام ولم أنْدَم على السُّكوت » .

ج 1 ص 271 « قال صاحب البلاغة والخطابة وأهل البيان وحب التبيُّن إنّما عَابَ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم المتشادقين والثرثارين والذي يتخلل بلسانه تخَلُّلَ الباقرة بلسانها والأعرابي المتشادق » .

ج 1 ص 321 « فإذا كان الفرزدق وهو روايةُ الناس وشاعرهم وصاحبُ أخبارهم يقول فيه مثل هذا القول فهو الذي لاَ يُشَكُّ في خطابته وبلاغته » .

ج 1 ص 326—327« ... قال : وقال أشيَمُ بن شقيق بن ثور لعُبيد الله بن زياد بن ضَيْبَان : ما أنت قائل لربّك وقد حملْتَ رأس مصعب بن الزبير إلى عبد الملك بن مروان ؟ قال اسكتْ فأنت يوم القيامة أخطبُ من صعصعة بن صُوحان إذا تَكَلَّمتِ الخوارج فما ظَنُّكَ ببلاغة رجلٍ عبيدُ الله بن زيادٍ يضرب به المثل ! » .

ج 1 ص 378 « قال : فإن كانوا إنّما رَوَوْا هذا الكلام لأنّه يدلُّ على فصاحة فقد بَاعَدَهُ الله من صفة البلاغة والفصاحة » .

ج 1 ص 408 « قال الله عزّ وجلّ « وقُلْ لهُمْ في أنْفُسِهِمْ قَوْلاً بليغًا » ليس يريد بلاغة اللسان وإن كان اللسان لا يبلُغ من القلوب حيث يريد إلا بالبلاغة » .

ج 2 ص 18 « ... ولم أرهم يذمّون المتكلّف للبلاغة فقط بل كذلك يرون المتطرّف والمتكلّف للغناء » .

ج 2 ص 43 « وقال سهل بن هارون : بلاغة اللسان رَتْقٌ والعِيُّ خُرْقٌ » .

ج 2 ص 104 « وقيل لرجل من الحكماء : ماجماع البلاغة ؟ قال معرفة السليم من المعتل وفصل ما بين المُضَمَّن والمطلق » .

ج 2 ص 315 « وقال ابن بشار البرقيّ : كان عندنا واحد يتكلم في البلاغة فسمعته يقول ، لو كنت ليس أنا وأنا ابن من أنا منه لكنت أنا أنا وأنا ابن من أنا منه فكيف وأنا أنا وابن من أنا منه » .

ج 3 ص 14 « ومَنْ أحَبَّ ان يبلُغ في صناعة البلاغة ويعرفَ الغريبَ ويتبَحَّرَ في اللغة فليقرأ كتاب كارْوَنْد » .

ج 3 ص 14 « فمن قرأ هذه الكتب وعرفَ غَوْر تلك العقول وغرائب تلك الحكم عرف أين البيان والبلاغة وأيْنَ تكاملت تلك الصناعة » .

ج 3 ص 27–28 « وكان صاحبُ المنطق نفسه بَكِيَّ اللسان غير موصوف بالبيان (...) وهم يزعمون ان جالينوس كان أنطق الناس ولم يذكروه بالخطابة ولا بهذا الجنس من البلاغة » .

ج 3 ص 29 « ونحن أبقاك الله – إذا ادعينا للعرب أصناف البلاغة من القصيد والأرجاز ومن المنشور والأسْجَاعِ ومن المزدوج وما لا يزدوج فمعنا العلم ان ذلك لهم شاهد صادق من الديباجة الكريمة والرّونق العجيب والسبك والنحت » .

ج 4 ص 11 « كان مولى البكرَات يدّعي البلاغة فكان يتصفح كلام الناس فيمدح الرديء ويذمّ الجيّد » .

ج 4 ص 24 « ورأيت عامتهم (رواة الأشعار والأخْبَار) (...) لا يقفون إلاّ على الألفاظ المتخيَّرة والمعاني المنتخبة وعلى الألفاظ العذبة والمخارج السهلة (...) وعلى المعاني التي إذا صارت في الصدور عَمَرَتْهَا وأصلحتها من الفساد القديم وفتحت للّسان باب البلاغة ودلَّتْ الأقلام على مدافن الألفاظ » .

ج 4 ص 32 إن الله إنما جعل نبيّه أمِّيًّا لا يكتب ولا يحسُب ولا ينسِبُ ولا يقرض الشعر ولا يتكلّف الخطابة ولا يتعمّد البلاغة لينفرد الله بتعليمه الفقه وأحكام الشريعة » .

ج 4 ص 33 « وكان (الرسول) إذا احتاج إلى البلاغة كان أبلغ البلغاء وإذا احتاج إلى الخطابة كان أخطب الخطباء » .

ج 4 ص 94 « والبلاغة معرفة رَتْق الكلام وفَتْقِهِ » .

* * *

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الإبـــلاغ

ج 1 ص 7 « وسأل اللهَ عزّ وجلّ موسى بنُ عمران عليه السلام حِينَ بعثه إلى فرعونَ بإبلاغ رسالته والإبانة عن حُجّتِهِ والإفصاح عن أدِلّتِهِ .... » .

ج 1 ص 8 «ومدح (اللهُ) القرآنَ (...) بجودة الإفهام وحكمة الإبلاغ » .

ج 2 ص 149 « النّمّام ذو الوجهين أحْسَنَ الاستماع وخالف في الإبلاغ » .

ج 4 ص 28 « ولم يكن الله لِيُعْطِيَ موسى لتمام إبلاغه شيئا لا يعطيه محمّدًا والذين بعث فيهم أكثرُ ما يعتمدون عليه البيانُ واللّسَنُ »

الفصاحـــة

ج 1 ص 15 « ومن أجل الحاجة إلى حُسن البيان وإعطاء الحروف حُقُوقَها من الفصاحة — رامَ أبو حذيفة إسقاطَ الرّاء من كلامه » .

ج 1 ص 18—19 «حدّثني أبو سعيد عبدُالكريم بن رَوْح قال : قال أهل مكّة لمحمّد بن المناذر الشاعر : ليست لكم معاشرَ أهل البصرة لغةٌ فصيحة إنّما الفصاحة لنا أهلَ مكة فقال ابن المناذر : أمّا ألفاظُنا فأحكَى الألفاظ للقرآن وأكثَرُها له موافقة فضعُوا القرآن بعد هذا حيثُ شِئْتُمْ » .

ج 1 ص 96—97 « وشأن عبد القيس عجبٌ وذلك أنّهم بعد مُحاربة إيَادٍ تفرقوا فرقتين : ففرقة وقعت بعُمان وشقّ عُمان وهم خُطباء العرب وفرقة وقعت إلى البَحْرَيْن وشِقّ البحرين وهم من أشعر قَبِيل في العرب ولم يكونوا كذلك حين كانوا في سُرّة البادية وفي معدن الفصاحة وهذا عجبٌ » .

ج 1 ص 162 « فمن زعم أن البلاغة أن يكون السّامعُ يفهم معنى القائل جعل الفصاحة واللُّكْنَة والخطأ والصّواب والإغلاق والإبانة والملحونَ والمُعْرَبَ كلّه سواء وكلّه بيانا وكيف يكون ذلك كلُّه بَيَانًا » .

ج 1 ص 163 « ولقد كان بين زيد بن كَشْوَة يوم قدِم علينا البصرة وبينَه يومَ ماتَ بونٌ بعيدٌ على أنّه قد كان وضع منزله في آخر موضِعِ الفصاحة وأوّلِ موضع العُجْمَة وكان لا ينْفَكُّ من رواة ومُذاكِرِين » .

ج 1 ص 278 « ... قال فَأنّى لكَ هذه الفصاحةُ ! قال أخذتُها عن أبي » .

ج 1 ص 368 ومن القصّاص : موسى بن سيّار الأسواريّ وكان من أعاجيب الدنيا كانت فصاحتُه بالفارسيّة في وزن فصاحته بالعربية وكان يجلس في مجلسه المشهور به فتقعد العرب عن يمينه والفُرْس عن يساره فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسرها للعرب بالعربية ثمّ يحوّل وجهه إلى الفرس فيفسّرها لهم بالفارسيّة فلا يُدرى بأيّ لسان هو أبْيَنُ » .

ج 1 ص 378 « قال : فإن كانوا إنّما رَوَوْا هذا الكلام لأنه يدلُّ على فصاحته فقد باعده الله من صفة البلاغة والفصاحة » .

ج 2 ص 99 « قال علي بن أبي طالب رحمه الله : خُصِصْنَا بخمس : فصاحةٍ وصباحةٍ وسماحة ونجدة وحُظْوَة — يعني عند النِّساء » .

ج 3 ص 29 « .... متى أخذت بيد الشعوبي فأدخلْتَه بلادَ الأعراب الخُلَّص ومعدِنَ الفصاحة التامة وَوَقَفْتَهُ على شاعر مُفلق أو خطيب مصقع علم ان الذي قلتَه هو الحق » .

ج 3 ص 240 « قَعَدَ قُدّام زياد رجل ضائعيّ (...) وزياد يبني دارَه فقال له أيُّهَا الأميرُ : لو كُنْتَ عملت بابَ مَشْرِقها قِبَل معربها وباب مغربها من قبل مشرقها ! فقال أنّي لك هذه الفصاحة قال إنّها ليست من كتابٍ ولا حِسَابٍ ولكنّها من ذَكَاوَةِ العقل » .

ج 3 ص 292 « وقد علِمْنَا أنّ الخُرْسَ والأطفال إذا دخلوا الجنّة وحُوِّلوا في مقادير البالغين وإلى الكمال والتَّمَام لا يدخلونها إلاّ مع الفصاحة بلسان أهل الجنّة ولا يكون ذلك إلاّ على خلاف الترتيب والتدريج والتعليم والتقويم » .

ج 4 ص 39 « وفي عُكْلٍ شِعْرٌ وفصاحةٌ وخيلٌ معروفةُ الأنْساب » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الإفْصَاحُ

ج 1 ص 7 « وسأل اللهَ عزّ وجلّ موسى بنُ عمران عليه السلام حين بعثه إلى فرعون بإبلاغ رسالته والإبانة عن حُجَّتِه والافصاح عن أدِلَّتِه » .

ج 1 ص 7 « وقال موسى صلّى الله عليه وسلم : (وأخي هارونُ هُوَ أفْصَحُ مِنّي لِسَانًا فأرْسِلْه مَعِيَ رِدْءًا يُصَدّقُنِي) وقال : (وَيَضِيقُ صَدْرِي ولا يَنْطَلِقُ لساني) رغبةً منه في غاية الإفصاح بالحجّة والمبالغة في وضوح الدّلالة » .

ج 1 ص 8 « ومدحَ (الله) القرآنَ بالبيان والإفصاح » .

ج 1 ص 34 « فمن يستطيع أنْ يصوّر كثيرا من حروف الزمزمةِ والحروف التي تظهر من فَمِ المجُوسيّ إذا ترك الإفصاح عن معانيه وأخذ في باب الكناية وهو على الطعام » .

ج 1 ص 36 « فأمّا التي (اللثغة) على الغين فهي أيسرُهن ويُقال إن صاحِبَهَا لو جَهَد نفسه جَهْدَه وأحدّ لسانَه وتكلّف مخرج الراء على حقّها والافصاح بها لم يَكُ بعيدا من أن تُجِيبَهُ الطبيعة » .

ج 1 ص 88 « ومن البصر بالحجّة والمعرِفة بمواضع الفُرْصة أن تَدَعَ الإفْصاح بها إلى الكناية عنها إذا كان الافصاح أوعر طريقةٍ » .

ج 1 ص 117 « قال : أو ما عَلِمْتَ أنّ الكناية والتعريض لا يعملان في العقول عملَ الإفصاح والكشْف » .

ج 2 ص 7 « ... ربّ كناية تربي على إفصاح ولحْظٍ يدلُّ على ضمير » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أهمّ مراجع البحث

ابن الأثير (ضياء الدين الجزيري) : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر . القاهـرة 1939 .

قدامة بن جعفر : نقد الشعر . القاهرة 1963 .

ابن رشيق : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ط 2 القاهرة 1955 .

ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب . القاهرة 1350هـ .

ابن المعتز : البديع . لندن 1935 .

أبو البركات الانباري : نزهة الألباء في طبقات الأدباء . ط 2 ستوكهلم 1962 .

الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد . دار الكتاب العربي بيروت .

الجاحظ : البيان والتبيين . ط 3 1968 . مصر .

الجاحظ : الحيوان . ط 2 1965 . مصر .

الجرجاني (عبد القاهر بن عبد الرحمان) : أسرار البلاغة . تحقيق السيد محمد رشيد رضا . ط 6 . قاهرة 1959 .

الجرجاني : دلائل الإعجاز . تحقيق السيد محمد رشيد رضا ط 5 قاهرة 1372هـ .

طه الحاجري : الجاحظ ، حياته وآثاره . القاهرة 1963 .

نعيم الحمصي : البلاغة بين اللفظ والمعنى من عصر الجاحظ إلى عصر ابن خلدون . مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مجلد 24 ج 3ـ4ـ1949 مجلد 25 ج ـ1ـ2 .

ياقوت الحموي : معجم الأدباء . مطبوعات دار المأمون . مصر .

أبو الحسن الرماني : النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن تحقيق خلف الله وزغلول سلام . ط دار المعارف بالقاهرة) .

محمد زغلول سلام : تاريخ النقد العربي من القرن الخامس إلى العاشر الهجري دار المعارف ـ القاهرة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إحسان عبّاس : تاريخ النقد الأدبي عند العرب . نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري . ط 1 بيروت 1971 .

عبد العزيز عتيق : في تاريخ البلاغة العربية . بيروت 1970 .

أحمد الشايب : الأسلوب . القاهرة ط 6 . 1966 .

شوقي ضيف : البلاغة : تطور وتاريخ . ط 2 . القاهرة 1965 .

بدوي طبانة : البيان العربي . ط 4 القاهرة 1968 .

أبو هلال العسكري : كتاب الصناعتين – القاهرة 1952 .

محمد زكي العشماوي : قضايا النقد الأدبي والبلاغة القاهرة 1967 .

محمد كرد علي : أمراء البيان . القاهرة 1937 .

الشريف المرتضي : الأمالي – القاهرة 1954 .

مصطفى ناصف : نظرية المعنى في النقد العربي القاهرة 1965 .

H. Bonnard : Notions de style, de versification et d'histoire de la langue française. Paris 1953

M. Gressot : Le style et ses techniques. PUF 7e éd. 1971

Oswald Duerot : Dire et ne pas dire : Principes de Sémantique linguistique. Coll savoir Hermann. Paris 1972

G. Granger : Essais d'une philosophie du style. Paris 1968

P. Guiraud : Essais de stylistique. Problèmes et méthodes. Initiation à la linguistique. Série 13 N° 1. Paris 1969

Ch. Pellat : Le Milieu basrien et la formation de Gahiz. Paris 1953

M. Riffaterre : Essais de stylistique Structurale. Flammarion 1971

N. Ruivet : Langage, musique, poésie. Coll. poétique du seuil 1972

R.L. Wagner : La Grammaire française : les niveaux et les domaines, les normes, les états de langues. Paris 1968.

ARCHIVE